ومن أبرز سمات الوسطية
سماحة التشريع الإسلامى

من أبرز سمات التشريع الإسلامى : سماحته ويسر أحكامه فليس فيه حرج ولا مشقة، ولا عسر ولا تنفير، بل فيه اليسر والرحمة، والخير والتبشير.

والذى يتصفح تعاليم الإسلام يرى هذه الحقيقة واضحة بأجلى معانيها وأوضح صورها ونماذجها فى العقيدة والعبادة والمعاملة.

أما فى العقيدة :

فليس فيها تعقيد ولا غموض، ولا نظرية جانحة ولا فلسفة حائرة، بل تتركز عقيدته فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، حلوه ومره .

وليس فى عقيدته إيمان بما جاء به البشر، بل إيمان بما أنزله الله على رسوله ﷺ :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٥) .

وليس فى عقيدتـه عصبية ممقوتة بل احتـرام لما أنزله الله وإيمان به واحترام لجميع رسل الله تعـالى وإيمان بهم دون تفرق بين أحد من رسله ﴿ **كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ** ﴾(١).

وأما فى العبادة :

فهى عبادة ميسورة، فى وسع كل إنسان أن يأتى بها فلا صعوبة فيها، ولم يكلـف الله تعالى عبـاده إلا بما هو فى وسعهم ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾ (٢) .

وقد شرع الله العبادة وأحكامها ومع يسرها، فقد رفع الحرج عنها :

﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾(٣) .

فمن لم يسـتطع الوضوء بالماء لتـعب أو مرض أو حرج يمـنعه من الماء أو لأنه لم يجد الماء فقد شرع الله له التيمم بالتراب الطاهر:

﴿ **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ (٤) .

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢٨٦) .

(٣) سورة الحج ، آية (٧٨) .

(٤) سورة النساء ، آية (٤٣) .

وشرع الله الصلاة، وما فيها من قيام وقعود، وركوع وسجود، ومع يسر هذه العبادة، فقد رفع الحرج عنها، ورخص لغير القادر على القيام أن يصلى من قعود ، ولغير القادر على أدائها من قعود أن يؤديها مضطجعاً، ولغير القادر على أدائها مضطجعاً أن يؤديها بإشارة رأسه، ولغير القادر على ذلك أن يشير برموش عينيه ، ولغير القادر على ذلك يُجرى أركان الصلاة على قلبه ، ولا يتركها ما دام عقله ثابتاً، لأنها الصلة بينه وبين خالقه، فانظر إلى أى مدى وصل التيسير ورفع الحرج أن يكتفى بأن يجرى الأركان على قلبه عند عجزه عن الحالات السابقة؟ إنها الرحمة الإلهية :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (١) .

وأما عبادة الصيام :

فقد رخَّص الله تعالى للمريض والمسافر سفراً طويلاً أن يفطر ويقضى الصوم فى أيام أخر، قال تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) وكذلك رخص للحامل والمرضع فى الإفطار والقضاء من أيام أخر.

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

(٢) سورة البقرة ، آية (١٨٤) .

وأما فى الحج :

فإنه لم يشرعه فى كل شهر ولا فى كل سنة، بل أوجبه الله تعالى مرة واحدة فى العمر كله، ولم يفرضه على الجميع بل على المستطيع فحسب، قال سبحانه :

﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾ (١) .

وإذا نظرنا إلى سماحة الإسلام فى المعاملات، وجدنا الهدى النبوى يرشد إلى السماحة فى كل المعاملات من بيع أو شراء أو اقتضاء، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى** »(٢).

وإقراراً لروح السماحة والتراحم بين العباد فى معاملاتهم، ينبئنا الرسول ﷺ عن ثمرة ذلك فى الآخرة حيث يتجاوز الله تعالى عن عباده الذين يتجاوزون ويتسامحون مع عباد الله :

روى البخارى بسنده أن حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ : «**تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا : أعملت من الخير شيئاً، قال :**

---

(١) سورة آل عمران ، آية (٩٧) .

(٢) رواه البخارى.

كنت آمر فتيانى أن ينتظروا المعسر، ويتجاوزوا عن الموسر، قال : فتجاوز الله عنه » .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : **« من أراد أن تستجاب دعوته، أو تكشف كربته فليفرج عن معسر »**.

وكما راعى الإسلام السماحة فى العقيدة والعبادة والمعاملات، فإنه راعى السماحة فى معاملة المسلمين لغيرهم :

﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (١) .

بل قرر الإسلام حماية أهل الذمة والمستأمنين ما داموا فى دار الإسلام وهذا الحق الذى قرره الإسلام لحمايتهم، يجب أن يعمل به أهل الأديان الأخرى فى معاملة الأقليات الإسلامية حماية لهم وتمكيناً لعباداتهم حتى يتم التعاون بين عنصرى الأمة.

ولننظر كيف أكد الإسلام على حقوق أهل الكتاب والمعاهَدين . . قال رسول الله ﷺ : **« ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة »**(٢) .

---

(١) سورة الممتحنة ، آية (٨) .

(٢) رواه البيهقى.

ومن وصايا سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم ».

وإرساءً لأسس التعاون والتواصل بين عنصرى الأمة أحل الله طعامهم فقال : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾(١) .

وشرع الزواج بالمرأة الكتابية ولها رابطة فى الظواهر الاجتماعية أقوى من ذلك، قال الله تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾(٢).

ومما يدل على انتشار الإسلام بسماحته وحسن معاملة المسلمين لغير المسلمين، هذه الواقعة التى حدثت بين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وبين رجل من أهل الكتاب، وذلك عندما فقد الإمام على رضى الله عنه درعه، ثم وجدها عند هذا الرجل الكتابى، فجاء به إلى القاضى شُرَيح قائلاً : إنها درعى ولم أبع ولم أهب ، فسأل القاضى شُرَيح الرجل الكتابى قائلاً : « ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ » فقال الرجل : ما الدرع إلا درعى، وما أمير المؤمنين عندى بكاذب.

(١ ، ٢) سورة المائدة ، آية (٥) .

فالتفت القاضى شُرَيح إلى الإمام على رضى الله عنه يسأله : « يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك على وقال: أصاب شُرَيح ما لى بينة، فقضى بالدرع للرجل، فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه إلا أن الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . . أمير المؤمنين يُدينني إلى قاضيه فيقضى عليه ؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، انبعث الجيش وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال الإمام على رضى الله عنه : « أما إذا أسلمت فهى لك ».

وهكذا نرى كيف وصلت سماحة الإسلام إلى هذا المدى الذى يقف فيه أمير المؤمنين نفسه أمام القاضى مع رجل من أهل الكتاب ومع أن أمير المؤمنين على حق، فإن القاضى طالبه بالبينة، وهذا أمر جعل أمير المؤمنين يضحك، لأنه على حق، وليس معه بينة، وواضح أنه المدعى، والبينة على المدعى واليمين على من أنكر، ثم تكون النهاية : أن يحكم القاضى للرجل بالظاهر، حيث لم تظهر البينة .

إن هذه المعاملة السمحة، التى لا يفرق فيها بين أمير وواحد من الرعية من أهل الكتاب، جعلت الرجل يفكر فى هذا الدين ويتملكه الإعجاب بهذا الدين، الذى يقف فيه أمير المؤمنين أمام قاضيه ويحكم قاضيه عليه، لا له، بظاهر ما أمامه وإن كان ذلك خلاف الواقع فأنطق الله الرجل أن يقول : أما

أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء . . وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . ويعترف ويقر بالحقيقة قائلاً : الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، انبعث الجيش، وأنت منطلق إلى صفين فخرجت من بعيرك الأورق، ولكنه وقد اعترف وأحب الإسلام ودخل فيه جعل أمير المؤمنين يتنازل عن الدرع للرجل قائلاً : أما إذا أسلمت فهى لك .

إنها صورة من صور القضاء فى قمة عدالته حيث يسوى بين هذا الرجل وبين أمير المؤمنين، وصورة من سماحة الإسلام فى ذروتها حيث كان الحكم بالظاهر وعلى أمير المؤمنين ، لا له.

إن مثل هذه المعاملة السمحة مع غير المسلمين، هى التى قربت الإسلام إلى الناس وجعلتهم يدخلون فى دين الله أفواجاً.

أما صور التعصب الممقوت التى يُساء فيها إلى الإسلام فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه، بل تدفعهم إلى النفور منه . . ومن أجل هذا كان القرآن الكريم يُجَلّى هذه الحقيقة: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ** ﴾ (١) وأيضاً لا حرج فيه ولا مشقة ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ (٢).

إنه دعوة إلى اليسر والتسامح، لا إلى العسر والغلظة :

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٥٦) .

(٢) سورة الحج ، آية (٧٨) .

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (١).

وإذا كان التسامح وحسن المعاملة وعدم التعصب أمورًا مطلوبة من المسلمين فى معاملتهم مع غير المسلمين، فإنها كذلك مطلوبة من غير المسلمين، حتى تتم معاملة كل طرف للآخر فى دائرة التعاون والتضامن فلا يُسِيء أحدهم إلى الآخر، بل يتعاملون بروح الفريق الواحد فى الوطن الواحد.

***

(١) سورة البقرة ، آية (١٨٥) .

obeikandl.com